دلالة الضحك الصادر عن المعصوم عليه السلام

المدرس المساعد
حيدر وحيد محي الكفنويز
كلية الإمام الكاظم عليه السلام للعلوم الإسلامية الجامعة
hydralkfnwyz8@gmail.com

The Significance of the Laughter of the Infallible (AS)

Assistant Lecturer
Haidar Wahid Mohi Al-Kafnawiz
Imam Al-Kazim (AS) College of Islamic Sciences University

الملخص:-

يتناول هذا البحث مسألة فهم الحركات والأفعال التي تصدر عن المعصوم عليه السلام المصاحبة لأقوال صدرت عنه عليه السلام، وقد وردت الروايات الكثيرة التي ذُكِرت فيها مفردة الضحك، ويُلحظ أن هذه المفردة لها دلالة مؤثرة في فهم النص وما هو الدافع الذي جعل المعصوم عليه السلام يفعل الضحك أو التبسم.

إن السياق العام للرواية تؤثر فيه الأفعال التي يفعلها المعصوم عليه السلام ومنها الضحك أو التبسم، وهذا الفعل له دلالات مختلفة ومتنوعة، فربَّما يصدر الضحك أو التبسم للموافقة ومطابقة الفعل لقبول المعصوم عليه السلام به، وقد يصدر من المعصوم عليه السلام للاستنكار وعدم القبول وإظهار عدم الرضا عن الفعل أول القول ممن سأله أو تكلم معه.

وكذلك يبين البحث مواضع استعمال الضحك وموارده وما هي الأحداث التي عاشها المعصوم عليه السلام ليصدر بواسطتها فعل الضحك أو التبسم.

وبيَّن البحث الفرق بين التبسم والضحك وأيهما اكثر استعمالاً من الآخر، وأيهما يفسر الآخر، وهو في طيات البحث.

وثم يظهر الأثر الفقهي في فهم الضحك أو التبسم الوارد بالروايات الشريفة، ومدى أثره في تغيير فهم الرواية التي ذُكرت فيها مفردة الضحك أو التبسم، ويُعدُّ هذا الموضوع من المباحث المعاصرة المهمة في فهم وشرح الروايات الشريفة.

الكلمات المفتاحية: الدلالة، الضحك، الصدور، المعصوم، الحكم، الشرعي.

Abstract:-

This research deals with the issue of understanding the movements and actions of the infallible (AS) that accompany the sayings issued by him (peace be upon him)،and many narrations have been mentioned in which the word laughter has been mentioned, and it is noted that this word has an influential significance in understanding the text and what is the motive that made the infallible (AS) do the act of laughing or smiling. The general context of the narration is influenced by the actions that the infallible person (as) does, including laughing or smiling, and this act has different and varied connotations, so it may be that laughter or smiling is issued to agree and match the act to the acceptance of the infallible (as), and it may be issued by the infallible (as) to denounce and disapprove and show dissatisfaction with the act at the first point of the one who asked him or spoke to him. The research also shows the places where laughter is used, its resources, and what events the infallible (as) lived through which the act of laughter or smiling was issued. The research showed the difference between smiling and laughing, which one is more used than the other, and which one explains the other, which is within the scope of the research. Then the jurisprudential impact on the understanding of laughter or smiling mentioned in the noble narrations appears, and the extent of its impact on changing the understanding of the narration in which the word laughter or smile is mentioned, and this topic is considered one of the important contemporary discussions in understanding and explaining the noble narrations.

Keywords: Significance, Laughter, Breasts, Infallible, Judgment, Shari'a.

المقدمة:ـ

إن هداية الإنسان تعني تغيير محتواه الداخلي في عقله وقلبه وإرادته لينسجم مع المنهج الإلهي في الحياة ويكون فكره وعاطفته وحدةً لا ازدواجية فيها ولا تناقض.

والتغيير ليس أمرا سهلا وهيّنا إذا نظرنا إلى طبيعته وطبيعة الميدان الذي يحل فيه وهو ميدان النفس البشرية ، فهو يواجه محدودية الإنسان وضعفه وعجلته ويواجه شهوات النفس ونزواتها المتجذرة والطارئة والمتقلبة ويواجه كبريا النفس وغرورها ويواجه اعتزاز الناس بمفاهيمهم وقيمهم التي أنسوا بها وأصبحت جزءاً من كيانهم الموروث والمكتسب.

لذلك تتجسد عملية الهداية والتغيير بالأداء الذي ينسجم مع ضخامة الواقع البشري وضخامة الأهداف المراد تحقيقها في الواقع.

ومن هنا ينطلق الدور الريادي والقيادي لأهل البيت عليهم السلام فهم أصل الدلالة في فهم المراد القرآني والتشريعي وبالنظر لهذه الملحوضة يجدر بنا الالتفات لكل حركاتهم وسكناتهم وأفعالهم لا لشيء إلا كونهم مصدر الفهم للتشريع الإسلامي .

لذلك أحببت أن أبحث في أحد أفعال المعصوم و ما يصدر عنه من تصرفات ومنها الضحك والتبسم أثناء السؤال أو أثناء التوضيح أو أي شيء مما نُقل عنهم عليهم السلام.

فقسمت البحث على مبحثين الأول فيه دلالة الضحك على الأحكام وتقويتها مثل الوجوب والإباحة والاستحباب والحرمة والكراهة.

أمّا المبحث الثاني فتناولت فيه ما صدر عنهم عليهم السلام من الضحك ولا توجد فيه دلالة واضحة على حكم شرعي كضحك الفرح والتعجب والتهكم وغيره.

ومن بعدها بيان أهم النتائج التي توصّل إليها البحث ثم قائمة بالمصادر والمراجع التي اعتمد عليها البحث.

التمهيد:

الضحك في اللغة:

قال ابن منظور: (الضّحِك معروف، ضحِك يضْحَك ضَحْكاً وضِحْكاً و ضَحِكاً أربع

لغات، وفي الحديث يبعث الله السحاب فيضحك أحسن الضحك، جعل انجلاءه عن البرق ضحكا استعارة ومجازا كما يفترُّ الضاحك عن الثغر وكقولهم: ضحكت الأرض إذا أخرجت نباتها وزهرتها، وضُحَكة كثير الضحك وضُحْكة بالتسكين يضحك منه)[١] وهو يحيل تفسير الضحك إلى المعنى العرفي وتداوله بين الناس ، لأنه من التصرفات الغريزية للإنسان.

أمَّا تصريفاته اللغوية فهي على لهجات أو لغات العرب و لا حاجة لخوضنا في هذا المضمار لكونه لا يشكل اختلافاً دلالياً للكلمة بالرغم من إتفاق جميع كتب اللغة على معناه[٢].

الضحك اصطلاحاً:

قال الجرجاني: (الضحك كيفية غير راسخة تحصل من حركة الروح إلى الخارج دفعةً بسبب تعجب يحصل للضاحك، وحد الضحك ما يكون مسموعاً لجيرانه، وأُستعير الضحك للسخرية ويستعمل الضحك للسرور المجرد تارة نحو مسفرة ضاحكة وللتعجب المجرد أخرى وإياه قصد من قال: الضحك مختص بالإنسان ولا يوجد في غيره من الحيوان)[٣].

نظرة قرآنية:

ورد الضحك في القرآن الكريم في بعض آيات الوعيد للكافرين حيث قال تعالى آمراً: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[٤] وفي تفسير هذه الآية (هذا تهديد لهم في صورة الأمر أي فليضحك هؤلاء المنافقون في الدنيا قليلاً)[٥].

وأيضاً جاء الضحك في القران الكريم بمعنى الاستهزاء قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ﴾[٦] وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ﴾[٧] وقال أيضاً: ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾[٨] وهي ظاهرة الدلالة في معنى الاستهزاء والإنكار ، وجاء التصريح بهذا المعنى في قوله تعالى: ﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾[٩].

أمَّا قوة الضحك والبكاء فهي غريزة أودعها الله تعالى في الإنسان وهي من الأمور الفطرية حيث قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ﴾[١٠] (ومعنى أضحك وأبكى خلق قوتي الضحك والبكاء أو فعل الضحك والبكاء من السرور والحزن)[١١] وأيضاً جاء الضحك على استعماله الحقيقي للمفردة حيث قال تعالى: ﴿وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾[١٢] (وأقرب الوجوه هو أنها كانت قائمة هناك وقد ذعرت من امتناع الضيوف من الأكل وهو يهتف بالشر فلما لاحت لها أنهم ملائكة مكرمون نزلوا بيتهم وأن لا شر في ذلك يتوجه إليهم سرّت وفرحت فضحكت فبشروه بإسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب)[١٣].

أمَّا ما جاء في القران الكريم من قصة النبي سليمان عليه السلام مع النملة حيث قال تعالى: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾[١٤].

(والظاهر إن القضية ذاتها كانت عجيبة عند سليمان بحيث تحذر نملة صويحباتها من النمل تحذرهن من تحطيم سليمان وجنوده إياهن وهم لا يشعرون فضحك من أجلها)[١٥].

وهذه الآية الكريمة تضيف معنى آخر وهو الضحك تعجباً أي من الأمر المتعجب منه

وعلى هذا يكون للضحك معاني قد استعملها القرآن الكريم وهي

- الأمر بالضحك تهديداً و وعيداً
- الاستهزاء والسخرية
- الفرح والسرور
- التعجب

التحليل النفسي للضحك:

لا شكَّ في أن الضحك والتبسم من الاستجابات النفسية للمثير الخارجي فهو يقع من الإنسان عند تأثره بأمر معين بغض النظر عن ماهية الأمر ونوعه.

بالإضافة إلى أنه ظاهرة بشرية بل فضيلة إنسانية خُصَّ بها المخلوق البشري من الله الخالق جلَّ شانه لأنه أكثر المخلوقات شعوراً بالألم و المعاناة واحساسه بالخطر والخوف وانفعاله مع الواقع لذلك يعتبر الضحك من المعالجات الآنية لهذا الواقع المتعثر وقد نبه (نتيشه) لهذا المعنى بقوله: (إنني لأعرف تماماً لماذا الإنسان هو الكائن الوحيد الذي يضحك؟ فلما كان هو أعمق الكائنات شعوراً بالألم كان لابد أن يخترع الضحك فالتعس هو الذي يضحك لكي يبدل بتعاسته فرحاً لذا ليس من المستغرب أن تنبع أجمل فكاهة من أعمق الناس حزناً)(١٦).

وهذا تحليل جميل جدا لما فيه من قدرة الإنسان على التعايش مع الواقع وعدم الاستسلام لليأس.

وفسّر (مارسيل بانويل) و(بودلير) الضحك والتبسم في استجابة الأشخاص للأمور المضحكة بأنه الشعور بالتفوق الدائم والاحساس بالامتياز الشخصي وليس من موضوع الضحك ذاته(١٧).

وهذا التفسير يوحي بان الشخص الضاحك يجد في نفسه اعلى رتبة من الذي وقع منه المضحك لذلك يضحك لإعجابه بتفوقه أو لشعوره بالأمن من الوقوع بالمزالق المضحكة التي تنزله من مقامه.

ومنهم من ربط الضحك بالذكاء وذلك لاكتشاف الفرد للرموز التي لها علاقة بمستويات الفهم حتى ذهبوا بانهم لا يضحكون على الامور المضحكة بقدر اعجابهم بذكائهم لانهم فهموها(١٨).

وهناك انوع للضحك حددها علماء النفس منها:

- ضحك السرور والرضا
- ضحك التهكم والسخرية
- ضحك المزاح والطرب
- ضحك العطف والمودة
- ضحك الشماتة والعداوة

- ضحك الدهشة والمفاجأة
- ضحك العجب والاعجاب[١٩]

وهذه الانواع غالباً ما تكون معروفة للفرد ولا حاجة للتفصيل فيها سوى الاطلاع فقط.

ويعتبر(فرويد) ان الضحك من اهم الانجازات النفسية للإنسان لأنها تصدر عن الية دفاعية وتقوم الالية الدفاعية بتحويل حالة الضيق إلى حالة المتعة[٢٠].

وهناك من يعده ظاهرة اجتماعية تقوي التواصل الاجتماعي واختلاط الثقافات وله الاثر البالغ في فهم اللغات الاخرى من خلال المسارح والسيرك وتنقله في البلدان واشاعة روح الفكاهة المعبرة بالألفاظ التي تنقل بها[٢١].

صدور الضحك والتبسم عن المعصوم عليه السلام:

وردت الروايات الكثيرة عن المعصومين عليهم السلام صدر فيها الضحك أو التبسم عنهم ولعل المقام لا يسع لذكرها كلها في هذه الوريقات، حيث جاء في (البداية والنهاية) في وصف النبي صلى الله عليه وآله وسلم (جل ضحكه التبسم)[٢٢] فهو ينقل صفته وكيفية ضحكه صلى الله عليه وآله وسلم وغالبه كان تبسماً.

و ورد في (حلية الابرار) (واذا فرح غض طرفه، جل ضحكه التبسم، يفتر عن مثل حب الغمام)[٢٣].

ولا شك ان القارئ لهذه الروايات يتبادر إلى ذهنه سؤال هل النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يضحك أو يتبسم من المزاح مع الصحابة؟ أو صدور امور مضحكة في حضرته صلى الله عليه وآله وسلم؟

والجواب على هذا السؤال نجده في رواية ابن عباس حيث وردت الرواية في (مكارم الأخلاق) (عن ابن عباس ان رجلاً سأله: أ كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يمزح؟ فقال: كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يمزح)[٢٤].

نعم ان دلالة هذه الروايات ظاهرة و متعاضدة في اثبات صدور الضحك والتبسم عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الا ان الملفت للنظر ما هو حد هذا الضحك والتبسم وهل هو مطلق وعلى الدوام؟

والجواب في هذه الروايات التي تنص على ان ضحك الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كان نادرا وقليلا

نوعا ما حيث نقل صاحب البحار في تعليل وسبب قلة ضحكه صلى الله عليه وآله (كونه لا يعلو ضحكه وذلك لغلبة ذكر الموت وما بعده على قلبه)[٢٥].

ولعل هذا السبب هو احد الأسباب التي دعت المعصومين عليهم السلام من النهي عن المزاح الزائد أو كثرة الضحك ففي (سنن الدارمي)جاءت الرواية (عن علي بن الحسين عليه السلام قال: من ضحك ضحكة مج مجة من العلم)[٢٦] وهذا سبب اخر في النهي عن الضحك ولكن اي ضحك؟ كثيره ام قليله؟

والجواب نجده في هذه الرواية حيث نقل (الكافي) (حميد بن زياد عن الحسن بن محمد الكندي عن احمد بن الحسن الميثمي عن عنبسة العابد قال: سمعت ابا عبد الله عليه السلام يقول: كثرة الضحك تذهب بماء الوجه)[٢٧] والرواية واضحة الدلالة في ان الضحك المنهي عنه هو الكثير من الضحك لا قليله أو الطبيعي منه

وأيضاً ورد في (الكافي) روايات تنهى عن المزاح (عن جعفر بن محمد الاشعري عن ابن القداح عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال امير المؤمنين عليه السلام: اياكم والمزاح فانه يجر إلى السخيمة ويورث الضغينة وهو السب الاصغر) ثم حل الشارح ما بين الروايات من تعارض قائلا (واعلم ان المزاح مشروع مطلوب الاّ انه يتفاوت باعتبار الكمية والكيفية والازمنة والمقام والاشخاص والعاقل اللبيب يعلم كيفية استعماله بحسب تلك الاعتبارات بخلاف غيره فلذلك ورد الأمر به تارة والنهي عنه أخرى)[٢٨].

ولعل اغلب ضحك المعصومين عليهم السلام ناتجا عن تعجب لانهم يصفون الضحك من غير عجب بالجهل (عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده علي بن الحسين عليهم السلام عن أبيه عن جده عليهم السلام قال: ان من الجهل النوم من غير سهر والضحك من غير عجب)[٢٩].

المبحث الأول

١. دلالة ضحك المعصوم عليه السلام على اثبات الوجوب

٢. دلالة ضحك المعصوم عليه السلام على الاستحباب

٣. دلالة ضحك المعصوم عليه السلام على الحرمة

٤. دلالة ضحك المعصوم عليه السلام على الجواز

٥. دلالة ضحك المعصوم عليه السلام على الاباحة

٦. ما ينسب للرسول صلى الله عليه وآله من الضحك ولا يناسب مقامه

٧. جزاء من ضحك من كلام المعصوم عليه السلام

دلالة ضحك المعصوم عليه السلام على إثبات الوجوب:

إنَّ ضحك المعصوم عليه السلام أو تبسمه له الاثر البالغ في الدلالة على الاحكام الشرعية سواء كان الحكم على نحو الوجوب أو الحرمة أو الاستحباب أو الكراهة أو الاباحة.

ففيه ما فيه من البعث والتحريك للمكلف وحثه على الالتزام بالأوامر والنواهي الإلهية، ولاشك ان تبسمه أو ضحكه عليه السلام دليلاً على تأثره وانفعاله عند السؤال الموجه له بغض النظر عن السائل أو الأمر المسؤول عنه.

فلم يكن التغيّر في تصرف المعصوم عليه السلام الاّ لإقناع السائل والارتقاء بفهمه لقوله عليه السلام فضحكُ المسؤولِ بالنسبة للسائل يعطي دلالة على انه واثق من أمره متثبت ويُشعر بضعف الاستدلال واكتشاف الحكم عند السائل في نفسه فتتولد لديه قناعة نفسية بالجواب سواء كان في باب المجادلة والحجاج أم في باب اثبات الأحكام.

ففي الرواية (روى زرارة في الصحيح عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت: له أ ما تخبرني من اين علمت وقلت: ان المسح ببعض الرأس وبعض الرجلين؟ فضحك وقال: يا زرارة قاله: رسول الله صلى الله عليه وآله ونزل به الكتاب من الله)[٣٠] وحقق الشيخ الانصاري (ت١٢٨١) رحمه الله الحديث شارحاً دلالته بقوله: (ويحتمل ان يراد به التصريح منه عليه السلام بمقتضى الآية وعدم اكتفائه بما يستفاد من ظاهر الآية حتى يمكن الاشتباه فيه أو الغفلة كما اتفقت لزرارة حتى سأل الإمام عليه السلام)[٣١].

فضحكُ الإمام حسب ما قرره الشارح من الاشتباه والغفلة التي جعلت زرارة لا يعرف من اين الاستدلال بالحكم على وجوب المسح فهو في مقام اثبات الواجب وبيانه من القران الكريم والسنة النبوية الشريفة.

ولاشك ان الإمام عليه السلام كان مراعياً حال زرارة وغفلته فيُحتمل انه ضحك وتبسم في

وجهه تلطيفاً وتنبيهاً له لما وقع فيه من الاشتباه ونحن نعلم مكانة زرارة عند الإمام عليه السلام.

وما رواه في التهذيب ((عن سليمان بن خالد في الصحيح عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قضى عليٌ عليه السلام في ثلاثة وقعوا على امرأة في طهر واحد وذلك في الجاهلية قبل ان يظهر الإسلام فأقرع بينهم وجعل الولد لمن قرع وجعل عليه ثلثي الدية للأخرين فضحك رسول الله صلى الله عليه وآله حتى بدت نواجذه وقال: وما اعلم فيها شيئاً الاّ ما قضى عليٌ عليه السلام))[٣٢].

والدلالة المستفادة من ضحك النبي صلى الله عليه وآله قد تنبه لها غير واحد من علماء المسلمين في هذا الحديث حيث جاء في(المحلى) ((ولا يضحك رسول الله صلى الله عليه وآله دون ان ينكر ما يرى أو يسمع ما لا يجوز البته الاّ ان يكون سروراً به وهو لا يُسّرُ الاّ بالحق ولا يجوز ان يسمع باطلاً فيقره وهذا خبر مستقيم السند نقلته كلهم ثقات))[٣٣].

و ورد في (منتهى المطلب) ((وفي الصحيح عن حكم بن حكيم قال: سألت ابا عبد الله عليه السلام عن غسل الجنابة ثم وصفه قلت: ان الناس يقولون: يتوضأ وضوع الصلاة قبل الغسل؟ فضحك وقال: اي وضوء انقى من الغسل وابلغ))[٣٤].

فدلالة الضحك الصادر من المعصومين عليهم السلام يستفاد منها الفقهاء في إقرار الحكم الشرعي من قبلهم عليهم السلام وتقويته فلو لم يكن صحيحاً لما اجازوه.

ولا تنحصر دلالة الضحك والتبسم الصادرين من المعصومين عليهم السلام في إثبات الوجوب فقط بل لهما دلالة واضحة في باقي الأحكام الشرعية كما سنرى.

دلالة ضحك المعصوم عليه السلام على الاستحباب:

غالباً ما يكون ضحكهم وتبسمهم عليهم السلام ناتجاً عن رضاهم وسرورهم بالأمر الصادر في حضرتهم عليهم السلام فدلالة الاستحباب كثيرة في هذا المجال ولعل المتتبع لاحاديث المستحبات يجدها وافرة وكثيرة.

جاء في (تذكرة الفقهاء) ((ان رجلاً دخل على رسول الله صلى الله عليه وآله وقد صفّر لحيته فقال عليه السلام: ما احسن هذا ثم دخل عليه بعد هذا وقد اقنى بالحناء فتبسم عليه السلام وقال: هذا احسن من ذلك ثم دخل عليه وقد خضّب بالسواد فضحك وقال: هذا احسن من ذاك وذاك))[٣٥].

ويفسّر الضحك في هذا الحديث صاحب (من لا يحضره الفقيه) ((تبسمه وضحكه صلى الله عليه وآله اما باعتبار انه فعل ما فعل لتحسينه اياه واما لإتيانه بالسنة واهتمامه بها فتبسمه وضحكه للإيماء إلى انه يسرٌ برغبتهم إلى الطاعات وميلهم اليها))[٣٦] وهو ظاهر في الدلالة على الاستحباب.

وفي باب استحباب البسملة عند الطعام ((عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال: اذا اكل احدكم فليذكر اسم الله فان نسي ان يذكر اسم الله في اوله فليقل بسم الله في اوله واخره وكان رسول الله جالسا ورجل يأكل فلم يُسمِّ حتى لم يبق من طعامه الاّ لقمه فلما رفعها إلى فيه قال بسم الله في اوله واخره فضحك النبي صلى الله عليه وآله وقال: ما زال الشيطان يأكل معه فلما ذكر الله قاء ما في بطنه))[٣٧] فقد ورد هذا الحديث في باب يستحب الاكل بالأصابع الثلاث[٣٨]. وليست الدلالة على الاستحباب خافية في الاحاديث المتقدمة فهي ظاهرة و واضحة.

وما روي عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام في حديث هشام بن الحكم واستدلاله مع عمرو بن عبيد في قضية الإمامة ايضاً يدل على استحباب حسن التكلّم والاستدلال والاستنتاج فهو بذلك يعطي دورا كبيرا للعقل وما كان سؤاله عليه السلام لهشام عن الحادثة الاّ لتنبيه الجالسين و تعليمهم الاستدلال وروي ان الجالسين هم ((حمران بن اعين ومحمد بن النعمان وهشام بن سالم والطيار وجماعة فيهم هشام بن الحكم وهو شاب فقال: ابو عبد الله عليه السلام يا هشام الا تخبرني كيف صنعت بعمرو بن عبيد وكيف سألته؟ فقال هشام يا ابن رسول الله اني اجلّك واستحييك ولا يعمل لساني بين يديك فقال ابو عبد الله: اذا امرتكم بشيء فافعلوا قال: هشام بلغني ما كان فيه عمرو بن عبيد وجلوسه في مسجد البصرة..... فقلت له أ لك عين؟ فقال يا بني اي شيءٍ هذا من السؤال وشيء تراه كيف تسأل عنه؟ فقلت: هكذا مسالتي فقال: سل قلت: أ لك عين؟ قال: نعم فما تصنع بها؟ قال: ارى بها الألوان والأشخاص قلت: فلك انف؟..... قلت: فلك فم؟..... قلت فلك اذن؟..... قلت فلك قلب؟ قال: نعم قلت: فما تصنع به؟ قال: اميز به كل ما ورد على هذه الجوارح والحواس قلت: أو ليس في هذه الجوارح غنىً عن القلب؟ فقال: لا قلت: وكيف ذلك وهي صحيحة سليمة؟ قال: يا

بني ان الجوارح اذا شكت في شيء شمته أو ذاقته أو راته أو سمعته ردته إلى القلب فيستيقن اليقين ويبطل الشك قال: هشام فقلت له فإنما اقام الله القلب لشك الجوارح قال: نعم قلت: فلابد من القلب والاّ لم تستيقن الجوارح قال: نعم قلت: له يا ابا مروان فالله تبارك وتعالى لم يترك جوارحك حتى اقام لها اماماً يصحح لها الصحيح ويتيقن به ما شك فيه ويترك هذا الخلق كلهم في حيرتهم وشكهم واختلافاتهم لا يقيم لهم اماماً يردون اليه شكهم وحيرتهم ويقيم لك اماماً لجوارحك وشكك؟ ! قال: فسكت ولم يقل شيئاً..... قال: فضحك ابو عبد الله عليه السلام وقال: يا هشام من علمك هذا؟ قلت: شيء اخذته منك والفته فقال هذا والله مكتوب في صحف ابراهيم وموسى))[٣٩].

ويحتمل في ضحكه عليه السلام وجوه ((احدها ضحكه عليه السلام بعد نقل هشام كلامه المنبئ عن السرور الناشئ عن حسن التكلم الذي بهت به عمرو ولم يقدر ان يتكلم في مقابله شيء وثانيهما قوله: من علمك هذا لدلالته على اختصاص هشام بين كل الاصحاب الحاضرين في المجلس بتعليم هذا البرهان))[٤٠].

وهناك من يفسر ضحكه عليه السلام في هذا الحديث ((انما ضحك لسماعه حال رجل صدر منه اضحوكة))[٤١] وهذا التفسير يبتعد عن الغاية المنشودة من الجلسة وهدف الإمام عليه السلام من جعل هشام يروي الحادثة مرة أخرى وما كان هدفه عليه السلام الاّ لتعليم الاصحاب الاستدلال والبرهان وأيضاً اقراراً منه عليه السلام لهذا التصرف وتعظيماً لدور هشام بن الحكم في ابراز دور الإمامة والدفاع عنها ولم يكن غرضه عليه السلام هو المزاح والطريفة.

وما جاء في بعض الروايات نجده صريحاً في الدلالة على سرور المعصوم عليه السلام على الاتيان بالمستحب والواجب ((عن رفاعة بن موسى عن عبد الله بن عطا عن أبي جعفر عليه السلام قال كنت مريضاً بمنى وابي عليه السلامعندي فجاءه الغلام فقال ههنا رهط من العراقيين يسئلون الاذن عليك فقال أبي عليه السلام ادخلهم الفسطاط وقام اليهم فدخل عليهم فما لبث ان سمعت ضحك أبي عليه السلامقد ارتفع فأنكرت و وجدت في نفسي من ضحكه وانا في تلك الحال ثم عاد اليّ فقال يا ابا جعفر عساك وجدت في نفسك من ضحكي فقلت وما الذي غلبك منه الضحك جعلت فداك فقال:ان هؤلاء العراقيين سألوني عن امر كان مضى من اباءك وسلفك يؤمنون به ويقرون فغلبني الضحك سروراً ان في الخلق من يؤمن به ويقر فقلت وما

هو جعلت فداك قال سألوني عن الاموات متى يبعثون فيقاتلون الاحياء على الدين))[٤٢] ويقصد الرجعة ومن قراءة الحديث تتبين بوضوح دلالة سرور المعصوم عليه السلام وحثه على اتيان الأمر المستحب.

دلالة ضحك المعصوم عليه السلام على الحرمة:

((روى احمد بن أبي طالب الطبرسي في الاحتجاج عن صالح بن كيسان ان معاوية قال للحسين عليه السلام: هل بلغك ما صنعنا بحجر بن عدي واصحابه شيعة ابيك؟ فقال عليه السلام وما صنعت بهم؟ قال قتلناهم وكفناهم وصلينا عليهم ، فضحك الحسين عليه السلام فقال خصمك القوم يا معاوية لكنا لو قتلنا شيعتك ما كفناهم ولا غسلناهم ولا صلينا عليهم ولا دفناهم))[٤٣].

وقد روي هذا الحديث في باب الكافر لا يجهز ولا يدفن في مقابر المسلمين[٤٤] فدلالة الحديث واضحة وجلية في حرمة تجهيز الكافر ولا سيما في ضحكه عليه السلام من معاوية وجهله فلم يتوقع هذا الرد المتبحر في دقائق الأحكام الشرعية الذي الجمه ولم يتكلم بعده.

دلالة ضحك المعصوم عليه السلام على الجواز:

ورد في كثير من الروايات ضحكُ المعصوم عليه السلام عند سؤاله عن اتيان الواجب أو عدم اتيانه أو بديله أو الكفارة عن ارتكاب المحرم وعدم اتيانها جوازاً فلضحكهم وتبسمهم عليه السلام دلالة على الجواز ويعتبر قرينة قوية في افادة الحكم الشرعي عند الفقهاء.

ففي باب نكاح الكتابية للمسلم واختلاف الاقوال فيه وردت رواية ابن الجهم وسؤاله عن نكاح النصرانية للإمام عليه السلام ((على ان خبر ابن الجهم ليس فيه الاّ انه تبسم وسكت ويمكن ان يكون تبسمه على اشتباهه ، خصوصاً والامام عليه السلام سأله عن تزويج النصرانية على المسلمة الظاهر المفروغية من جواز نكاحها لا على المسلمة))[٤٥] ويستفاد من تبسمه عليه السلام على جواز الزواج بالنصرانية مفردة ولا يجوز على المسلمة.

((ولعل منشأ تبسمه عليه السلام اشتباه القائل بالنسخ ولعل السكوت لمصلحة يراها والله اعلم وقال المجلسي (قوله فتبسم) ظاهرة التجويز والتحسين واحتمال كونه لوهن كلامه في غاية الضعف))[٤٦] وهذا الاستدلال صريح ومستفاد من تبسم المعصوم عليه السلام.

وفي (الخلاف) ((ان عمرو بن العاص اجنب في بعض الغزوات فخشي ان يغتسل لشدة البرد فتيمم وصلى فلما قدم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذكر له ذلك فقال: صليت بأصحابك وانت جنب؟ فذكر له العذر وقال: خشيتُ ان اهلك فضحك ولم يقل شيئاً))[٤٧].

((فضحك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يقل شيئاً دليلاً على جواز التيمم عند شدة البرد ومخافة الهلاك الأول التبسم والاستبشار والثاني عدم النكار لان النبي لا يقر على باطل والتبسم والاستبشار اقوى دلالة من السكوت على الجواز فان الاستبشار دلالته على الجواز بطريق الأولى))[٤٨].

ومن دلالة الضحك ايضاً على جواز عدم دفع الكفارة في من وطأ زوجته في نهار رمضان ودليل ابناء العامة في ((رواية أبي هريرة اتى رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا رسول الله هلكت فقال: ما شأنك؟ فقال: وقعت على امراتي في شهر رمضان فقال: تجد ما تعتق به؟ قال: لا قال: فهل تستطيع ان تصوم شهرين متتابعين؟ قال: لا قال: هل تستطيع ان تطعم ستين مسكيناً قال لا قال: اجلس فاتى النبي بعذق فيه تمر فقال تصدق به فقال: يا رسول الله ما اهل بيت افقر منا قال: فضحك النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى بدت ثناياه فأطعمه اياها))[٤٩].

((وسبب ضحكه ما شاهده من حال الرجل حيث جاء خائفاً على نفسه راغبا في فداءها مما امكنه فلما وجد الرخصة طمع في ان يأكل ما اعطيته في الكفارة وقيل ضحك من بيان الرجل في مقاطع كلامه وحسن بيانه وتوسله إلى مقصوده وظاهر هذا انه وقع منه ضحك يزيد على التبسم فيحمل ما ورد في صفته صلى الله عليه وآله وسلم ان ضحكه كان التبسم في غالب أحواله))[٥٠].

ويُنقل في باب حرمة الهدية ممن له مصلحة مع الحاكم على جواز اخذها ممن ليس له مصلحة ((وقد قبل عليٌ عليه السلام الهدية ، هدايا جماعة من اصحابه ودعاه بعض من كان يانس إليه إلى حلواء عملها يوم نوروز فأكل وقال لم عملت هذا؟ فقال: لأنه يوم نوروز: فضحك وقال: نورزوا لنا في كل يوم ان استطعتم))[٥١].

ويُذكر في عدم اقامة الحد على السكران اذا لم يسلّم للحاكم ولم يعترف ((قال: ابن عباس شرب رجل خمر فسكر فلُقي يميل في الفج فأنطلق به إلى النبي فلما حاذى بدار

العباس انفلت فدخل على العباس فالتزمه ، فذُكر ذلك للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فضحك وقال: افعلها ولم يأمر فيه بشيء))[٥٢].

وفي اعطاء الزيادة على الدين ((روى شهاب بن عبد ربه عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: ان رجلا جاء إلى رسول الله يسأله فقال: رسول الله من عنده سلف؟ فقال بعض المسلمين عندي فقال: اعطه اربعة اوساق من تمر فأعطاه ثم جاء إلى رسول الله فتقاضاه فقال: يكون فأعطيك ثم عاد فقال: يكون فأعطيك ثم عاد فقال: يكون فأعطيك فقال: اكثرت يا رسول الله فضحك وقال: عند من سلف؟

فقام رجل فقال عندي فقال:كم عندك؟ قال: ما شئت فقال: اعطه ثمانية اوساق فقال: الرجل انما لي اربعة فقال صلى الله عليه وآله وسلم واربعة ايضاً))[٥٣].

ومن خلال ما تقدم من الروايات المباركة تتضح اهمية ودلالة ضحك وتبسم المعصومين عليهم السلام في الاهتداء إلى الحكم الشرعي وما تضيفه تصرفاتهم عليهم السلام من دلالات لها الاثر البالغ في عملية الاستنباط.

دلالة ضحك المعصوم عليه السلام على الاباحة:

وردت بعض الروايات صدر فيها الضحك عنهم عليهم السلام ودلالة هذا الضحك انما هي سروراً واقراراً منهم عليهم السلام للفعل أو الأمر الذي وقع امامهم عليهم السلام.

فقد روي عن عائشة ((ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قدم عليها من غزوة تبوك أو خيبر وفي سهوتها ستر فهبت الريح فكشفته عن بنات لعائشة (لعب) فقال: ما هذا يا عائشة؟ قالت :جناحان قال: فرس له جناحان؟ قالت: اما سمعت ان لسليمان خيلاً لها اجنحة قالت: فضحك صلى الله عليه وآله وسلم حتى بدت نواجذه))[٥٤] وهذا في باب اباحة الصور للعب الاطفال وهو من الاحاديث التي رواها ابو داوود والنسائي[٥٥].

وقد اختلف علماء العامة في اباحة الضحك عند الجنائز أو كراهته وما ورد من احاديث تنسب للرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم كانت منشأ هذا الخلاف فعند موت عبد الله بن أبي سلول حضر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلامه عمر على حضوره فتبسم صلى الله عليه وآله وسلم ((حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن عقيل وقال غيره قوله لما مات عبد الله بن أبي سلول فتبسم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

وقال آخر عني) مع ما ثبت ان ضحكه كان تبسماً ولم يكن عند شهود الجنائز يستعمل ذلك؟ وجوابه انه عبّر عن طلاقة وجهه بذلك تأنيساً لعمر وتطييباً لقلبه كالمعتذر عن ترك قبول كلامه ومشورته))[٥٦] مع العلم ان الضحك عند الجنائز مكروه وصرح به علمائهم ((وقد ارتضى ابن حجر قول الداوودي بأن الضحك مكروه عند الجنازة لكن النبي ارتكب هذا المكروه فضحك لعمر وتبسم له تطييباً لقلبه كالمعتذر عن ترك قبول كلامه ومشورته))[٥٧].

ما يُنسب من الضحك ولا يناسب مقام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم:

ففي الحديث السابق ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد ارتكب المكروه من اجل إرضاء عمر! وهذا تهجّم على الرسالة وعلى عصمة النبوة فكيف يأمرنا بالمستحب وهو يفعل المكروه؟! وهل النبوة الاّ عصمة من المعصية ومن الزلل

وعند مراجعة ما ورد من احاديث يُصاب القارئ بالدهشة لما يجده من تهجّم على شخص النبوة ((عن أم ايمن قالت: قام رسول الله من الليل إلى فخارة في جانب البيت فبال فيها فقمت من الليل وانا عطشانة فشربت ما فيها وانا لا اشعر فلما اصبح النبي قال: يا أم ايمن قومي فأهريقي ما في تلك الفخارة قلت قد والله شربت ما فيها قال: فضحك النبي حتى بدت نواجذه ثم قال: أما والله لا تبجعن بطنك أبداً))[٥٨].

فكيف يضحك الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من شخص يقع في الخطأ أو يصيبه شيء من التقزز النفسي من فعل قام به سهواً لا يعلم به وما هو الاّ ضحية عدم انتباهه ولا سيما هذا الشخص زوجته واقرب الناس اليه فهذا الحديث يعكس في الذهن تصويرا عائليا سمجاً لا يناسب اي بيت عادي من عامة الناس فضلاً عن مقام النبوة

وعند ملاحظة الحديث فقهياً تتضح دلالة الضحك على حليّة واباحة شرب البول اذ ان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لم ينه ام ايمن اطلاقاً بل ضحك وامتدح فعلها بعدم ابتجاع بطنها! وهذا حكم باطل شرعاً لما ورد عنهم عليهم السلام من حرمة البول بإجماع المسلمين

واذا كان الأمر مختصا بالأنبياء عليهم السلام وبولهم ! لوجدنا الناس على امتداد التاريخ تلتهم فضلات الانبياء عليهم السلام لأنها شفاء ودواء من كل داء ، هذا التفكير الساذج والرخيص انما هو

يوجه ضربة لمقام النبوة وليس فيه من الذوق الاّ ما يقوم به الاخذ لهذا الحديث من افعال سائدة في مجتمع البداوة من شرب بول البعير واعتباره شفاء ويحاول عكس ثقافته على الاحاديث والاحكام الشرعية، فهي احاديث ضعيفة ((ترجع إلى سماجة المعنى و رداءته ولا خلاف فيها بين العلماء في اعتبار الحديث الركيك بالمعنى موضوعاً على لسان النبي صلى الله عليه وآله وسلم))[٥٩].

وفي السنن ((من طريق برية بن عمر بن سفينة عن أبيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم احتجم ثم قال له خذ هذا الدم فادفنه من الدواب والطير والناس قال: فتغيّبت به فشربته ثم سألني قال: فأخبرته فضحك))[٦٠].

مع العلم ان ضحكه يعتبر اقرار منه صلى الله عليه وآله وسلم على هذا الفعل وهو شرب الدم فهل نسي صلى الله عليه وآله وسلم وحاشاه ان الله حرمه في كتابه ! هذه الاحاديث وان افترضنا كان لها سنداً صحيحاً فهي لا تخلو من تهافت وتناقض في معناها ومضمونها.

وعن جابر بن عبد الله ((دخل ابو بكر وعمر على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فوجداه جالساً حوله نساؤه واجما ساكنا فقال:ابو بكر يا رسول الله لو رايت بنت خارجة سألتني النفقة فقمت اليها فوجأت عنقها فضحك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال: هن حولي كما ترى يسألنني النفقة فقام ابو بكر على عائشة يجأ عنقها وقام عمر إلى حفصة يجأ عنقها كلاهما يقول: تسألن رسول الله ما ليس عنده فقلن: والله لا نسأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شيئاً ابدا ما ليس عنده ثم اعتزلهن صلى الله عليه وآله وسلم شهراً))[٦١].

ولعل النظرة السلبية لدى القارئ الغربي كانت نتيجة لهذه الاحاديث والروايات الضعيفة الموضوعة فلا نلقي باللوم على المستشرقين في اتهام الإسلام والنبوة بأشياء مقززة اذا كان موروثنا الإسلامي حافلاً بمثل هذه الروايات، فترى النبي صلى الله عليه وآله وسلم تارة تشرب زوجته بوله وتارة تُضرب امامه بمجرد انها طالبت بحقوقها، وتارة يسمح بشرب الدم فاي إسلام هذا واي دين واي انسانية؟!

جزاء من ضحك من كلام المعصوم عليه السلام:

في باب التسليم لما جاء عنهم عليهم السلام ((عن جابر بن يزيد عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال: علي بن الحسين عليه السلام موت الفجأة تخفيف على المؤمن وأسف على الكافر وان المؤمن ليعرف

غاسله وحامله فان كان له عند ربه خير ناشد حملته بتعجيله وان غير ذلك ناشدهم ان يقصروا به فقال ضمرة بن سمرة: يا علي ان كان كما نقول لقفز من السرير فضحك واضحك فقال علي بن الحسين عليه السلام: اللهم ان كان ضمرة بن سمرة ضحك واضحك من حديث رسول الله فخذه اخذ اسف فعاش بعد ذلك اربعين يوما ومات فجأة فأتى علي بن الحسين عليه السلام مولى لضمرة فقال: اصلحك الله ان ضمرة عاش بعد ذلك الكلام الذي كان بينك وبينه اربعين يوماً ومات فجأة واني اقسم بالله لسمعت صوته وانا اعرفه كما كنت اعرفه في الدنيا وهو يقول الويل لضمرة بن سمرة تخلى منه كل حميم وحلّ بدار الجحيم وبها مبيته والمقيل فقال علي بن الحسين عليه السلام هذا جزاء من ضحك واضحك من حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم))[٦٢].

إن أراد على الرسول رادٌّ على الله والضاحك من حديثه كذلك فيجب اخذ حديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على محمل الجد لأنه المصدر الثاني للتشريع بعد كتاب الله تعالى فلا ينبغي الضحك منه فضلا عن الاضحاك.

المبحث الثاني

ما كان من ضحكهم عليهم السلام غير مقترنٍ بحكم شرعي

١. ضحك وتبسم السرور والفرح
٢. ضحك التعجب
٣. ضحك التهكم والاستخفاف بالخصم
٤. ما كان من الضحك خجلاً

١. ضحك السرور والفرح:

غالباً ما كان ضحكهم عليهم السلام سروراً واستبشاراً بوجه المؤمنين وقد كثرت الوصايا من قبلهم عليهم السلام على الاستبشار ولابد للمؤمن ان يكون هشاً بشاً بوجه اخيه وتواردت الروايات الكثيرة في هذا المجال.

و روى ((يحيى بن سعيد عن محمد بن يحيى بن حبان عن انس بن مالك عن ام حزام قالت: بينما رسول الله قائلاً في بيتي استيقظ وهو يضحك فقلت: ممّ تضحك؟ قال: عُرض

عليٍّ ناس من امتي يركبون ظهر البحر كالملوك على الاسرة))[٦٣].

ويُفسّر ضحكه ((عندما استيقظ من النوم فإنما ذلك سروراً منه مما يدخله الله على امته من الاجر بالأعمال البر وإنما رآهم على الاسرة في الجنة))[٦٤].

وعندما طلب الناس من الرسول صلى الله عليه وآله الاستسقاء ونزل المطر غزيراً ((جاء اهل البطاح يقولون: يا رسول الله الغرق الغرق فقال رسول الله: اللهم حوالينا ولا علينا فانجاب السحاب عن السماء فضحك رسول الله وقال: لله درّ أبي طالب لو كان حياً لقرت عيناه))[٦٥] ودلالة الضحك واضحة في السرور والفرح لاستجابة دعائه صلى الله عليه وآله بقرينة (لقرت عيناه).

وفي الإخبار عن قتل الإمام الحسين عليه السلام من قبل الإمام عليٍّ عليه السلام ((عن كثير بن شهاب الحارثي قال: بينما نحن جلوس عند امير المؤمنين عليه السلام في الرحبة اذ طلع الحسين عليه السلام عليه فضحك عليٌّ عليه السلام ضحكاً حتى بدت نواجذه ثم قال: ان الله ذكر قوما وقال: (فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين) والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ليقتلن هذا ولتبكّين عليه السماء والارض))[٦٦].

والظاهر ان ضحك الإمام علي عليه السلام كان فرحاً لكون الإمام الحسين عليه السلام سيكون شهيد الامة ونبراس الشهادة والاباء وستكون صرخته بوجه الظلم هي المنجية من انحراف الإسلام واستعباد المسلمين.

٢. ضحك التعجب:

وغالباً ما يكون في استنتاج بعض الاصحاب الخاطئ واشتباههم في الفهم فقد روي ((عن زرارة بإبراهيم بن هاشم قال: كنت جالسا عند أبي جعفر عليه السلام ذات يوم اذ جاءه رجل فدخل عليه فقال: له جُعلت فداك اني رجل جار مسجد لقومي فإذا انا لم اصلِّ معهم وقعوا فيَّ وقالوا هو هكذا وهكذا فقال اما لئن قلت ذاك لقد قال امير المؤمنين عليه السلام من سمع النداء فلم يجبه من غير علة فلا صلاة له فخرج الرجل فقال له لا تدع الصلاة معهم وخلف كل امام فلما خرج قلت له: جُعلت فداك كبُر عليَّ قولك لهذا الرجل حين استفتاك فإن لم يكونوا مؤمنين؟ قال: فضحك عليه السلام ثم قال ما اريك بعد الاّ ههنا يا زرارة فإنه اي

علة اعظم من انه لا يأتمُّ به ثم قال يا زرارة اما تراني قلت صلوا في مساجدكم وصلوا مع أئمتكم))[٦٧].

ومن ضحكهم عليهم السلام عند اشتباه احد الاصحاب تعجباً روي ((عن أبي عبد الله عن أبيه عليهما السلام قال: جاء قنبر مولى عليٍّ عليه السلام يفطره اليه قال: فأتى بجراب فيه سويق عليه خاتم فقال له رجل: يا امير المؤمنين أ هذا لهو البخل أ تختم على طعامك؟ قال: فضحك عليٌّ عليه السلام ثم قال: أ وغير ذلك لا احب ان يدخل بطني شيئا الاّ اعرف سبيله ثم كسر الخاتم فإذا سويقاً فجعل منه في قدح فأعطاه اياه.....))[٦٨].

وروي ايضاً ((عن موسى بن اسماعيل عن أبيه عن جده عن جعفر بن محمد عليهم السلام قال: كان للحسن بن علي عليهما السلام صديقاً ماجناً فتباطأ عليه اياماً فجاءه يوما فقال له الحسن عليه السلام: كيف اصبحت؟ قال: يا ابن رسول الله اصبحت بخلاف ما احب ويحب الله ويحب الشيطان! فضحك الحسن عليه السلام ثم قال: وكيف ذلك؟ قال: لان الله عز وجل يحب ان اطيعه ولا اعصيه ولست كذلك والشيطان يحب ان اعصي الله ولا اطيعه ولست كذلك وانا احب ان لا اموت ولست كذلك))[٦٩].

وبعضهم من فسّر ((ضحكه صلى الله عليه وآله وسلم من طلب الناس المطر ثم طلبهم عنه فراراً وكأن ضحكه تعجباً من طلبهم المطر اضطراراً ثم طلبهم الكف عنه فراراً))[٧٠].

٣- ضحك التهكم والاستخفاف بالخصم:

كثيراً ما يرد في الروايات ضحك المعصومين عليهم السلام عند التحاجج مع الخصم وبعض العلماء قد التفت إلى هذه الظاهرة مفسراً وشارحاً لسبب ذلك الضحك فقد روي ((عن بن يونس عن فضيل ان يهودياً جاء فقال: يا محمد ان الله يمسك السماوات والشجر على اصبع والخلاق يقول انا الملك فضحك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقرأ الآية ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾))[٧١].

((وضحك النبي صلى الله عليه وآله وسلم انما هو للتعجب من جهل اليهودي ولهذا قرأ الآية (وما قدروا الله حق قدره)))[٧٢].

وهناك من يصرح بان ضحكه صلى الله عليه وآله وسلم كان استسخافاً واستخفافاً بعقل اليهودي ((فقد ضحك من ذلك لان ضحكه كان بسبب استسخاف عقل اليهودي بدليل ذكره للآية))[٧٣].

وروي أيضاً عن الإمام الصادق عليه السلام انه ضحك من خصمه وهو((محمد بن عبد الله في قوله للإمام: تبايع أو اسجنك - فرد عليه الإمام عند سماع حديثه مع عيسى بن زيد في وصف السجن - اما ان طرحناه في السجن وقد خرب السجن وليس عليه اليوم غلق خفنا ان يهرب منه فضحك ابو عبد الله عليه السلام ثم قال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم أ و تراك تسجنني؟!قال نعم))[٧٤] فدلالة الاستخفاف واضحة لانهم يقيمون دولة متهالكة لا نظام ولا عدالة اضافة إلى ان سجنهم مهدم وليس له باب ولا غلق وهذا الأمر مضحك جدا لانهم اضعف من ان يحبسوا الإمام عليه السلام

وروى ((عن الحسن العباس بن الحريش عن أبي جعفر الثاني عليه السلام قال: قال ابو عبد الله: بينما أبي يطوف بالكعبة اذا رجل معتجر قد قبض له فقطع عليه اسبوعه حتى ادخله إلى دار جنب الصفا فأرسل اليّ فكنا ثلاثة.....يا بن رسول الله سآتيك بمسألة صعبة اخبرني عن هذا العلم ماله لا يظهر كما كان يظهر مع رسول الله؟ قال: فضحك أبي عليه السلام وقال: ابى الله عزّ وجل ان يطلع على علمه الاّ ممتحناً للإيمان به كما قضى على رسول الله ان يصبر على اذى قومه ولا يجاهدهم الاّ بأمره فكم من اكتتام قد اكتتم به حتى قيل له اصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين))[٧٥] ((ولعل ضحكه عليه السلام كان لهذا النوع من السؤال الذي ظاهره الامتحان تجاهلاً مع علمه بانه عارف بحاله أو لعد المسالة صعبة وليست عنده عليه السلام كذلك))[٧٦].

٤.ما كان من الضحك خجلاً:

جاء في كفاية الاثر ((عن محمد بن مسلم قال: كنت عند أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام اذ دخل جعفر ابنه وعلى رأسه ذؤابة وفي يده عصا يلعب بها فأخذه الباقر عليه السلام وضمه اليه ضمّاً ثم قال: بابي انت وامي لا تلهو ولا تلعب ثم قال لي: يا محمد هذا امامك بعدي فاقتدِ به واقتبس من علمه والله انه لهو الصادق الذي وصفه لنا رسول الله وان شيعته منصورون في الدنيا والاخرة واعداءه ملعونون في الدنيا والاخرة على لسان كل نبي.فضحك جعفر عليه السلام واحمرّ وجهه فالتفت اليّ ابو جعفر وقال لي: سله قلت له: يا ابن رسول الله من اين الضحك؟ قال: يا محمد العقل من القلب والحزن من الكبد والنفس من الريّة والضحك من الطحال فقمت وقبلت راسه))[٧٧] ويظهر من ضحكه عليه السلام كان خجلاً

من امتداح أبيه له امامه واستحياءه من أبيه وضيفه وهو صغير السن.

خلاصة واستنتاج:

أ- اثبتت الدراسات النفسية الحديثة علمياً ان للضحك فائدة تعود على الجسم ولكن لا الكثير منه بل قليله وفي مواقفه المعينة لأنه يدعو بالتفاؤل والسرور مما يزيد من قابلية الفرد على التعايش

ب- اثبت البحث بتتبعه لموارد الضحك انه لم يصدر عنهم عليهم السلام الضحك الموصوف بالإسقاط النفسي وهو السلبي عند مشاهدة المواقف من اشتباه أو توهم الاخرين بل كان ايجابيا وطبيعيا جدا وهذا مما يميزهم عن باقي الناس وبالتالي فهو بمثابة جواب على اسئلة من يسأل بماذا يختلف المعصومون عليهم السلام؟

ت- للضحك في القران الكريم دلالة قرآنية ومعانٍ عدة وهو صدر من الانبياء ونساء الانبياء عليهم السلام بمواقف مختلفة دالاً على السرور أو التعجب أو التهديد وغيرها

ث- ثبوت صدور الضحك والتبسم عن المعصومين عليهم السلام وانهم كانوا يمزحون ولكن بدرجة معينة وذم كثرة الضحك ومعرفة من الذين يضحك معهم

ج- ان صدور الضحك بالاحاديث التي فيها بيان لحكم شرعي يعطي دلالة مختلفة حسب نوع الحكم ففي باب الوجوب يعطي دلالة اثبات الوجوب وفي باب الاستحباب يدل على سرور المعصوم عليهم السلام بفعل المستحب وكذلك في باقي الاحكام كالإباحة وغيرها

ح- تبين ان لضحك المعصوم عليهم السلام وتبسمه اسباب خارجة عن ابواب الفقه وليس لها تعلّق بحكم شرعي كالفرح والسرور والتعجب والاستنكار والاستخفاف بالخصم والخجل ايضاً

خ- ان تسليط الضوء على ظاهرة الضحك بالنسبة للمعصومين عليهم السلام تبين حال الواقع الذي كانوا يعيشونه عليهم السلام فهو مؤشر صادق على تفاعلهم وانغماسهم مع المجتمع والناس فيفرحون لفرحهم و يحزنون لحزنهم ويجيبون على اسئلتهم.

د- تبين ان الضحك قرينة قوية في عملية استنباط الحكم الشرعي وذلك من ملاحظة الجهد الفقهي لدلالة الحديث وفهم الفقهاء للرواية.

هوامش البحث

(١) لسان العرب / ابن منظور ج٤ ص٢٥٥٨ وص٢٥٥٩
(٢) ينظر مختار الصحاح /الرازي ومجمع البحرين /الطريحي ج٥ ص١٨٠
(٣) التعريفات / الجرجاني وينظر التعاريف / المناوي ص٤٧٠
(٤) التوبة ٨٢
(٥) بحار الانوار /العلامة المجلسي ج٢١ ص١٩٨
(٦) الزخرف ٤٧
(٧) المطففين ٢٩
(٨) المطففين ٣٤
(٩) المؤمنون ١١٠
(١٠) النجم ٤٣
(١١) تفسير جوامع الجامع /الطبرسي ج٣ ص٤٥٦
(١٢) هود ٧١
(١٣) الميزان /الطباطبائي ج١٠ ص٣٢٣
(١٤) النمل ١٩
(١٥) الامثل في تفسير كتاب الله المنزل /الشيخ مكارم الشيرازي ج١٢ ص٤٠.
(١٦) الضحك فلسفة وفن /جلال العشري /دار المعارف سلسلة كتابك العدد ٨٥. ١٩٧٩م
(١٧) ظ. الضحك غريزة انسانية وضرورة حياتية /الدكتور ناصر الحمد سنه، ص٤.
(١٨) ظ. المصدر نفسه.
(١٩) ظ. الضحك غريزة انسانية وضرورة حياتية /الدكتور ناصر احمد سنه، ص٦.
(٢٠) الضحك فلسفة وفن /جلال العشري، مصدر سابق.
(٢١) الضحك. هنري برجسون.دار المعارف، ترجمة سامي الدروبي عبد الله عبد الدايم ص١٦
(٢٢) البداية والنهاية /ابن كثير.ج٦.ص٣٦
(٢٣) حلية الابرار / هاشم البحراني.ج١.ص١٧٤
(٢٤) مكارم الاخلاق / الشيخ الطبرسي.ص٢١

(٢٥) بحار الانوار / العلامة المجلسي.ج٦٤.ص٣٤١
(٢٦) سنن الدارمي /عبد الله بن بهرام الدارمي ج١ ص١٤٤
(٢٧) شرح اصول الكافي /مولى محمد صالح المازندراني ج ١١ ص١٤٧
(٢٨) المصدر نفسه
(٢٩) مستدرك الوسائل /الميرزا النوري ج٨ ص٤١٤
(٣٠) مختلف الشيعة / العلامة الحلي.ج١ ص٤٢٧.ظ. منهى المطلب /العلامة الحلي.ج٢ ص٤٢.ظ.روض الجنان / الشهيد الثاني ص٣٣.ظ. مجمع الفائدة / المحقق الاردبيلي ج١ ص٢٣٤
(٣١) كتاب الطهارة / الشيخ الانصاري. ج٢ ص٢٠٨
(٣٢) التهذيب / الشيخ الطوسي ج٩ ص١٦٩.ظ. الوسائل / ج١٤ ص٥٦٦.ظ. الحدائق الناظرة / ج٢٥ ص٢٥
(٣٣) المحلى / ابن حزم.ج١٠ ص١٥٠
(٣٤) منهى المطلب / العلامة الحلي.ج٢ ٢٣٨
(٣٥) تذكرة الفقهاء / العلامة الحلي ج٢ ص٢٥٤.
(٣٦) من لا يحضره الفقيه / الشيخ الصدوق ج١ ص١٢٤
(٣٧) المغني /عبد الله بن قدامة ج٨ ص١٢٢
(٣٨) ظ. الشرح الكبير /عبد الله بن قدامة ج٨ ص١٢٣
(٣٩) شرح اصول الكافي / مولى محمد صالح المازندراني ج٥ ص٨٨
(٤٠) سفينة النجاة / السرابي التنكابني ج ص
(٤١) شرح اصول الكافي / مولى محمد صالح المازندراني ج٥ ص٨٧
(٤٢) مختصر بصائر الدرجات /الحسن بن سليمان الحلي ص٢٠
(٤٣) الحدائق الناضرة /المحقق البحراني ج٣ ص٤١٢
(٤٤) ظ. م. ن ، ج٣/ص٤١٢.
(٤٥) جواهر الكلام / الشيخ الجواهري ج٣٠ ص٣٥
(٤٦) الكافي / الكليني ج٥ ص٣٥٧
(٤٧) الخلاف / الشيخ الطوسي ج١ ص١٤٥
(٤٨) نيل الاوطار / الشوكاني ج١ ص٣٢٤
(٤٩) الخلاف / الشيخ الطوسي ج٢ ص ١٨١.ظ. تذكرة الفقهاء / العلامة الحلي ج٦ ص٣٩.
(٥٠) نيل الاوطار / الشوكاني ج٤ ص٢٩٦.
(٥١) شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد ج١١ ص٢٤٧.ظ. دراسات في ولاية الفقيه وفقه الدولة الإسلامية / الشيخ المنتظري ج٢ ص٦٨٠

(٥٢) نيل الاوطار / الشوكاني ج٧ ص٣٢٧.
(٥٣) من لا يحضره الفقيه / الشيخ الصدوق ج٣ ص٢٨٥
(٥٤) فقه السنه / الشيخ سيد سابق ج٣ ص٥٠٠
(٥٥) ظ. م.ن
(٥٦) فتح الباري / ابن حجر ج١٣ ص٣٣٦.ظ. عمدة القاري /العيني ج١٩ ص١٤٤.ظ. الديباج على مسلم / جلال الدين السيوطي ج٦ ص١٤٧
(٥٧) الف سؤال واشكال / الشيخ علي الكوراني العاملي ج٢ ص٣٣٣
(٥٨) تلخيص الخبير /ابن حجر ج١ ص١٨٠.
(٥٩) القواعد المنهجية لنقد متن الحديث / الدكتور حسين سامي شير علي ص٣٥٠.
(٦٠) تلخيص الخبير / ابن حجر ج١ ص١٨٠
(٦١) المحلى / ابن حزم ج١٠ ص٩٧
(٦٢) الصحيفة السجادية /الإمام زين العابدين ص١٤٣.ظ. الخرائج والجرائح / قطب الدين الراوندي ج٢ ص٥٨٦.ظ. مختصر البصائر / الحسن بن سليمان الحلي ص١٩.ظ. بحار الانوار / العلامة المجلسي ج٤٦ ص٢٧
(٦٣) الاستذكار / ابن عبد البرج ج٥ ص١٢٦.
(٦٤) م. ن ج٥ ص١٢٦.
(٦٥) جواهر الكلام / الشيخ الجواهري ج١٢ ص١٣٤
(٦٦) كامل الزيارات / جعفر بن محمد بن قولويه ص١٨٦.ظ. العوالم الإمام الحسين عليه السلام / الشيخ عبد الله البحراني ص٤٥٨.ظ. غاية المرام / هاشم البحراني ج٤ ص٣٧٥
(٦٧) ذخيرة المعاد / المحقق السبزواري ج١ ص٣٠٢.ظ. الحدائق الناضرة / المحقق البحراني ج١٠ ص٥
(٦٨) منتهى المطلب / العلامة الحلي ج٢ ص٦٤٢
(٦٩) معاني الاخبار / الشيخ الصدوق ص٣٨٩
(٧٠) عون المعبود / العظيم ابادي ج٤ ص٢٧
(٧١) فتح الباري / ابن حجر ج١٣ ص٣٣٦
(٧٢) م. ن. ج١٣ ص ٣٣٦
(٧٣) دفع شبهة التشبيه بأكف التنزيه / ابو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي الحنبلي ص٢٠٥
(٧٤) الكافي / الكليني ج١ ص٣٦٣
(٧٥) الكافي / الكليني ج١ ص٢٤٤
(٧٦) م. ن. ج١ ص٢٤٤

(٧٧) كفاية الاثر /الخزاز القمي ص٢٥٣.ظ. بحار الانوار /العلامة المجلسي ج٤٧ ص١٥.ظ. مستدرك سفينة البحار / الشيخ علي النمازي ج١ ص٢٣٥.

قائمة المصادر و المراجع

- القران الكريم

١. احكام الجنائز، محمد ناصر الالباني، ط ١٤٠٦٤ -١٩٨٦ م، المكتب الإسلامي، بيروت -لبنان
٢. الامثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ط١، قم -ايران
٣. الاستذكار، ابن عبد البر، ت٤٦٣، تحقيق سالم محمد عطا محمد علي معوض، ط١ سنة ٢٠٠٠م، بيروت -لبنان، دار الكتب العلمية
٤. الف سؤال واشكال، الشيخ علي الكوراني العاملي، ط١، ١٤٢٤-٢٠٠٤م، دار الهدى
٥. بحار الانوار، المجلسي ت١١١١، تحقيق السيد ابراهيم الميانجي ط٣، دار احياء التراث سنة ١٤٠٣-١٩٨٣م، بيروت لبنان
٦. البداية والنهاية، ابن كثير ت٧٧٤، تحقيق علي شيري، ط١، سنة ١٤٠٨-١٩٨٨م، دار احياء التراث، بيروت -لبنان
٧. تفسير الالوسي، الدر النثور، ابو الثناء الالوسي، ت ١٢٧٠، دار احياء التراث العربي، بيروت لبنان
٨. التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت لبنان
٩. التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، ابراهيم الابياري، ط١ ١٤٠٥، دار الكتاب العربي /بيروت لبنان
١٠. تلخيص الخبير، ابن حجر، ت ٨٥٢ هجري، دار الفكر
١٢. جواهر الكلام، الشيخ الجواهري، تحقيق محمود القوجاني، ط٢ ١٣٦٦ش، دار الكتب الإسلامية، طهران
١٣. الحدائق الناضرة، المحقق البحراني ت١١٨٦، تحقيق محمد تقي الايرواني، منشورات جماعة المدرسين الحوزة العلمية، قم -ايران
١٤. حلية الابرار، السيد هاشم البحراني ت١١٠٧، تحقيق الشيخ غلام رضا مولانا البرجوردي، ط١ سنة ١٤١١، مؤسسة المعارف الإسلامية، قم -ايران
١٥. الخرائج والجرائح، قطب الدين الراوندي، ط١ دار احياء التراث، بيروت لبنان
١٦. الخلاف، الشيخ الطوسي ت٤٦٠، مؤسسة جماعة المدرسين، قم -ايران
١٧. دفع شبهة التشبيه بأكف التنزيه، ابو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي الحنبلي ت٥٩٧، تحقيق حسن السقاف، ط١٤١٣/٣-١٩٩٢م، دار الإمام النووي، عمان الاردن

١٨.الـديباج علـى مسـلم، جـلال الـدين السـيوطي ت ٩١١، ط١/١٤١٦-١٩٩٦م، دار ابـن عفـان للنشـر والتوزيع، المملكة العربية السعودية

١٩.ذخيرة المعاد، المحقق السبزواري ت ١٠٩٠، مؤسسة دار ال البيت لإحياء التراث

٢٠.روض الجنان، الشهيد الثاني ت٩٦٦، مؤسسة ال البيت، قم- ايران

٢١. سفينة النجاة، السرابي التنكابني ت١١٢٤، تحقيق السيد مهدي الرجائي، ط١/سنة ١٤١٩ى-١٣٧٧، مطبعة امير، قم -ايران

٢٢. سنن الدارمي، عبد الله بن بهرام الدارمي ت٢٥٥، مطبعة الاعتدال سنة ١٣٤٩، دمشق -سوريا

٢٣. شرح اصول الكافي، مولى محمد صالح المازندراني ت١٠٨١، تحقيق الميرزا ابو الحسن الشعراني، ط١ /١٤٢١-٢٠٠٠م، دار احياء التراث العربي، بيروت -لبنان

٢٤. الشرح الكبير، عبد الرحمن بن قدامة ت٦٨٢، دار الكتاب العربي، بيروت -لبنان

٢٥. الصحيفة السجادية، الإمام زين العابدين عليه السلام ت٩٤ هجري

٢٦. عون المعبود، العظيم ابادي ت١٣٢٩، ط١٤١٥/٢، دار الكتب العلمية، بيروت -لبنان

٢٧. عمدة القاري، العيني ت٨٥٥، دار احياء التراث، بيروت -لبنان

٢٨. العوالم الإمام الحسين عليه السلام، الشيخ عبد الله البحراني ت١١٣٠، ط١٤٠٧/١-١٣٦٥، مطبعة امير، قم -ايران

٢٩. غاية المرام، السيد هاشم البحراني، تحقيق علي عاشور /مكتبة اهل البيت، النجف الاشرف

٣٠. فتح الباري، ابن حجر ت٨٥٢، ط٢، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت -لبنان

٣١. فقه السنة، الشيخ سيد سابق، ط١٣٩١/١-١٩٧١، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان

٣٢. الكافي، الكليني ت٣٢٩، تحقيق علي اكبر الغفاري، ط٣ /١٣٦٧ش، مطبعة حيدري، دار الكتب الإسلامية، طهران -ايران

٣٣. كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن قولويه ت٣٦٧، تحقيق الشيخ جواد القيومي، ط١٤١٧/١، مؤسسة النشر الإسلامي، مطبعة مؤسسة نشر الفقاهة

٣٤. كتاب الطهارة، الشيخ الانصاري ت ١٢٨١، تحقيق لجنة تحقيق التراث الشيخ الاعظم، ط١٤١٨/١، مؤسسة الهادي، قم - ايران

٣٥. كفاية الاثر، الخزاز القمي ت٤٠٠، تحقيق السيد عبد اللطيف الحسيني الكوهكمري الخوئي، سنة الطبع ١٤٠١، مطبعة الخيام، قم- ايران

٣٦. لسان العرب، ابن منظور، المحقق عبد الله علي الكبير / محمد احمد حصب الله، دار النشر دار المعارف، القاهرة -مصر

٣٧. مجمع البيان، الطبرسي ت٥٤٨، تحقيق مؤسسة النشر الإسلامي، ط١ /١٤٢١

٣٨. مجمع البحرين، الطريحي، مكتبة اهل البيت، النجف الاشرف

٣٩. مجمع الفائدة، الاردبيلي ت٩٩٣، تحقيق اغا مجتبى العراقي، منشورات جماعة المدرسين، قم - ايران

٤٠. المحلى، ابن حزم ت٤٥٦، دار الفكر

٤١. مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، تحقيق محمود خاطر، مكتبة لبنان -بيروت -لبنان

٤٢. مختصر البصائر، الحسن بن سليمان الحلي ت ٨٣٠، مكتبة اهل البيت، النجف الاشرف

٤٣. مختلف الشيعة، العلامة الحلي ت٧٢٦، مؤسسة النشر الإسلامي، ط١/١٤١٥، التابعة لجماعة المدرسين، قم- ايران

٤٤. مستدرك سفينة البحار، الشيخ علي النمازي الشاهرودي ت١٤٠٥، تحقيق الشيخ حسن بن علي النمازي سنة ١٤١٨، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم - ايران

٤٥. مستدرك الوسائل، الميرزا النوري ت١٣٢٠، تحقيق مؤسسة ال البيت لاحياء التراث، ط٢/١٤٨٠-١٩٨٨/بيروت -لبنان

٤٦. معاني الاخبار، الصدوق ت٣٨١، تحقيق علي اكبر الغفار سنة ١٣٧٩-١٣٣٨ش، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم -ايران

٤٧. المغني، عبد الله بن قدامة ت٦٢٠، ط جديد الاوفسيت، بعناية جماعة من العلماء

٤٨. مكارم الاخلاق، الطبرسي ت٥٤٨، ط٦ /١٣٩٢-١٩٧٢م، منشورات الشريف الرضي

٤٩. منتهى المطلب، العلامة الحلي ت٧٢٦، تحقيق قسم الفقه في مجمع البحوث الإسلامية، ط١ /١٤١٣، المطبعة مؤسسة الطبع والنشر في الاستانة الرضوية المقدسة الناشر مجمع البحوث الإسلامية، مشهد - ايران

٥٠. من لا يحضره الفقيه، الصدوق ت٣٨١، تحقيق علي اكبر الغفاري، ط٢، مؤسسة النشر الإسلامي، قم -ايران

٥١. نيل الاوطار، الشوكاني ت١٢٥٥، سنة ١٩٧٣، دار الجيل، بيروت -لبنان